

الكبائر

الكبيرة الثامنة و الثلاثون : التعلم للدنيا و كتمان العلم .

قال اﷺ تعالى : { إنما يخشى اﷲ من عباده العلماء } يعني العلماء باﷲ عز و جل قال ابن عباس : يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي و عزتي و سلطاني و قال مجاهد و الشعبي : العالم من خاف اﷲ تعالى و قال الربيع بن أنس من لم يخش اﷲ فليس بعالم و قال اﷲ تعالى : { إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات و الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم اﷲ و يلعنهم اللاعنون } .

نزلت هذه الآية في علماء يهود و أراد (بالبينات) الرجم و الحدود و الأحكام و بالهدى أمر محمد عليه الصلاة و السلام و نعتة { من بعد ما بيناه للناس } أي بني إسرائيل { في الكتاب } أي في التوراة { أولئك } يعني الذين يكتُمون { يلعنهم اﷲ و يلعنهم اللاعنون } قال ابن عباس : كل شيء لا الجن و الأنس و قال ابن مسعود : ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود و النصارى الذين يكتُمون أمر محمد صلى اﷲ عليه و سلم و صفته و قال اﷲ تعالى : { و إذ أخذ اﷲ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس و لا تكتمونه فنبدوه و راء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون } .

قال الواحدي : نزلت هذه الآية في يهود المدينة أخذ اﷲ ميثاقهم في التوراة ليبينن شأن محمد صلى اﷲ عليه و سلم و نعتة و مبعثه و لا يخفونه و هو قوله تعالى : { لتبيننه للناس و لا تكتمونه } و قال الحسن : هذا ميثاق اﷲ تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما في كتابهم و فيه ذكر رسول اﷲ صلى اﷲ عليه و سلم و قوله { فنبدوه و راء ظهورهم } قال ابن عباس : أي ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم { و اشتروا به ثمنا قليلا } يعني ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم في العلم و قوله : { فبئس ما يشترون } قال ابن عباس : قبح شراؤهم و خسروا و قال رسول اﷲ صلى اﷲ عليه و سلم : [من تعلم علم مما يبتغي به وجه اﷲ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة] يعني ربحها رواه أبو داود و قد مر حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين يسحبون إلى النار أحدهم الذي يقال له : إنما تعلمت ليقال عالم و قد قيل و قال صلى اﷲ عليه و سلم : [من ابتغى العلم لباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه فإلى النار] و في لفظ [أدخله اﷲ النار] أخرجه الترمذي و قال صلى اﷲ عليه و سلم : [من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار] و كان من دعاء رسول اﷲ صلى اﷲ عليه و سلم : [أعوز بك من علم لا ينفع] و قال صلى اﷲ عليه و سلم [من تعلم علما لم يعمل به لم يزد العلم إلا كبرا]

و [عن أبي أمامة B قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له بما لقيت هذا و إنما اهتدينا بك فيقول : كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه] و قال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد و حفظه أشد من طلبه و العمل به أشد من حفظه و السلامة منه أشد من العمل به فنسأل الله السلامة من كل بلاء و التوفيق لما يحب و يرضى إنه جواد كريم .

(موعظة) ابن آدم ! متى تذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرجال عن هذه القصور ؟ إلى متى في جميع ما تبني تدور ؟ أين من كان من قبلكم في المنازل و الدور ؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور ؟ رحل و الله الكل فاجتمعوا في القبور ؟ و استوطنوا أخصن المهاد إلى نفخ الصور فإذا قاموا إلى فصل القضاء و السماء تمور كشفوا الحجاب المخفي و هتك المستور و ظهرت عجائب الأفعال و حصل ما في الصدور و نصب الصراط فكم من قدم عثور و وضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور و أصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور و باءوا بتجارة لن تبور و دعا أهل الفجور بالويل و الثبور و جيء بالنار تقاد بالأزمة و هي تفور إذ ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا و هي تفور ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور .

(إنما الدنيا متاع ... كل ما فيها غرور) .

(فتذكر هول يوم ... السما فيه تمور)